

أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الثامنة والثلاثون

سفر النبي حزقيال (١)

عرش الله والمسيح الراعي

مستمعي العزيز ، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس . وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن ، والمسيح المخلص الآتي .

وكنا قد انتهينا في اللقاء السابق من دراسة نبوءات النبي إرميا التي تحدثت عن الملك والمخلص المسيح ، فتبين لنا أنها أشارت إليه بأنه غصن البر . وأنه سيُدعى الرب برّنا ، أي يهب بر الله لكل من يؤمن به . وفي اللقاء السابق تأملنا بنبوءة إرميا عن العهد الجديد ، الذي أقامه المخلص المسيح ، عن طريق موته الكفاري على الصليب . وتبين لنا أنه بإمكان أي إنسان الدخول إلى هذا العهد بواسطة الإيمان بالمخلص المسيح .

وفي لقاء اليوم ننتقل إلى السفر الثالث من أسفار الأنبياء في الكتاب المقدس ، ألا وهو سفر النبي حزقيال . معنى إسم حزقيال الله يقوّي . ولد حزقيال في القرن السابع قبل الميلاد ، وكان من عشيرة كهنوتية . سُبّي عام خمسمائة وسبعة وتسعين قبل الميلاد إلى بابل ، حيث أقام مع غيره من المسبيين قرب نهر خابور . استمرت خدمة حزقيال النبوية لمدة تزيد عن إثنين وعشرين سنة . ولا يُعرف شيء عن تاريخ موته أو سببه .

تنبأ حزقيال كغيره من الأنبياء ، عن عقاب الله لليهود بسبب شرورهم ، وعن خراب أورشليم والهيكل . وأنبأ عن مصير بعض الأمم في ذلك الزمان . وتتشابه نبوءات حزقيال في بعض نواحيها بنبوءات إرميا . وتنبأ حزقيال عن مجيء المخلص المسيح والمستقبل المجيد لأولاد الله ، والمدينة السماوية . وتحدث عن حلول روح الله القدوس في قلب الإنسان ، وعن الولادة الروحية الجديدة . وأشار إلى غفران الله للخاطيء الذي يأتي معترفا بذنوبه ، وتائباً عنها . وأكد حزقيال أن المسيح ، الذي أسماه بلسان الله عبدي داود ، سيكون هو الراعي والملك الحقيقي الذي سيملك إلى الأبد .

هناك أوجه شبه عديدة بين سفر حزقيال وسفر رؤيا يوحنا ، آخر أسفار العهد الجديد ، تتجاوز الثمانين . فقد رأى النبي حزقيال في رؤياه الواردة في الأصحاح الأول من سفره ، عرش الله ومجده الباهر . وتتطابق أوصاف ذلك العرش ، بما رآه الرسول يوحنا في رؤياه ، كما دوتها لنا في سفره . رأى حزقيال "شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق ، وعلى شبه العرش شبه

كمنظر إنسان عليه من فوق . (حزقيال ٢٦:١) بينما رأى الرسول يوحنا " وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس . وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق . " (رؤيا يوحنا ٤:٢ و٣) وهنا نجد أوجه التشابه بينهما . ورأى كلاهما ، أي النبي حزقيال والرسول يوحنا ، قوس قزح علامة العهد ، وبهاء الحضرة الإلهية ممثلة بالبلور النقي . ونظر كلاهما مصابيح روح الله المتقدة . وسمعا صوت الحيوانات الأربعة حول العرش الذي يشبه صوت خرير المياه الكثيرة . وكلاهما أخذوا من يد الجالس على العرش ، المتوج بقوس قزح سفرا أي كتابا ، وأمرا بأكل السفر ، ثم بالتنبؤ على شعوب كثيرة .

تشير كل هذه المواصفات التي ما هي إلا كناية عن صور رمزية معبرة ، تشير إلى جلال الله وعظمته الفائقة . ولهذا كتب النبي حزقيال في نهاية الأصحاح الأول قائلا : " هذا منظر شبه مجد الرب . " (حزقيال ٢٨:١) لكن الله تعالى صديقي المستمع ، لم يكشف لنا عن ذاته الممجة ، بهذه الصورة الرمزية فحسب ، بل أعلنها لنا من خلال كلمته الأزلي ، المخلص الملك المسيح ، والذي رآه ممجدا أيضا الرسول يوحنا في رؤياه .

وكما أخبرنا البشير يوحنا في بشارته ، إن الله قد أعلن لنا ذاته من خلال كلمته الأزلي ، الذي صار جسدا وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الأب مملوءا نعمة وحقا . نعم ، إن المخلص المسيح الكلمة الأزلي ، أعلن لنا بتجسده المدهش مجد الله الباهر . فلم يعد الله ذلك الإله البعيد عنا غير المكترث بأمرنا ، بل حل بيننا مؤكدا محبته الفائقة نحونا . إن المخلص المسيح مستمعي العزيز ، هو صورة الله غير المنظور ، الذي تنازل إلينا لينقذنا من عبودية الخطية، وليهبنا الغفران والخلود . وهو ما نراه واضحا في كل صفحات العهد الجديد من الكتاب المقدس .

نبه النبي حزقيال مستمعيه إلى حقيقة روحية هامة . وهي أن الإنسان مسؤول عن خطيته . فكتب قائلا : " النفس التي تخطئ هي تموت . الإبن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن . " (حزقيال ١٨:٢٠) كان الإعتقاد السائد في ذلك الزمان ، أن الله يدين الإنسان على شرور والده ، رغم برائته . لكن أتى حزقيال ليوضح ، أن الله سيدين كل إنسان بمفرده ، بمعزل عن والده أو ابنه . فالنفس التي تخطئ هي تموت .

وهذا المبدأ الإلهي الذي أوضحه النبي حزقيال ، كان تأكيدا لما ستعلنه المسيحية فيما بعد ، أن كل إنسان هو مسؤول عن نفسه . وأنه بحاجة لكي يتوب ويؤمن بالمخلص المسيح ، حتى ينجو من دينونة الله العادلة . وها هو المخلص المسيح يصرح قائلا : " الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية . ولا يأتي إلى دينونة بل قل انتقل من الموت إلى الحياة . " (بشارة يوحنا ٥:٢٤) مع العلم ، أننا جميعنا خطاة ، وبخاجة إلى رحمة الله وغفرانه . وبالتالي فإننا جميعا بحاجة لكي نتوب عن ذنوبنا ، ونؤمن بخلص الله الذي أعده لنا من خلال المخلص المسيح .

ولقد أكد النبي حزقيال أهمية توبة الإنسان ورجوعه عن الشر ، واستعداد الله لقبوله . إذ كتب قائلاً : " هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . ألا يرجوعه عن طريقه فيحيا . " (حزقيال ١٨:٢٣) أجل مستمعي العزيز ، إن الله لا يسر بموت الإنسان الخاطيء في خطاياها ، فهو إله حنان رحوم . ويدعوه لكي يتوب ويؤمن بالخلاص الذي أعده له ، بواسطة المخلص المسيح . وعندها ينجو من دينونة الله ويحيا إلى الأبد .

وتبأ النبي حزقيال بالويل على رعاة إسرائيل ، الذين خانوا الأمانة التي أعطاهم إياها الله . إذ رعو أنفسهم بدل الشعب ، وسعوا لمصالحهم الخاصة ، وكانت النتيجة أن الغنم ضلّت وتشتت . فأمر الله بكفهم عن الرعاية . وأعلن حزقيال أن الله سيقوم راعيا واحدا ، بدل كل أولئك الرعاة الخائنين . إذ كتب على لسان الله قائلاً : " وأقيم عليها راعيا واحدا فيرعاها عبدي داود ، هو يرعاها ويكون لها راعيا . " (حزقيال ٣٤:٢٣)

فمن هو هذا الراعي الواحد الذي أقامه الله راعيا على شعبه ؟ إذا عدنا إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس لوجدنا أن هذا الراعي الذي أقامه الله هو المخلص المسيح، الذي قال عن نفسه : " أنا هو الراعي الصالح . والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ." (بشارة يوحنا ١٠:١١) إن المخلص المسيح إذن هو الراعي الذي أقامه الله لكي يرعى شعبه . وهو راع صالح إذ قدّم جسده كفارة على الصليب من أجلنا نحن البشر الخاطئة . أما قول الله أن هذا الراعي سيكون عبدي داود ، فإنه يشير بوضوح أنه سيكون من نسل الملك والنبي داود، وليس داود نفسه الذي مات . وكان المسيح من نسل داود بحسب الجسد ، وقيل عنه ابن داود.

لكن من هم خراف هذا الراعي الصالح ؟ أجابنا المخلص المسيح بقوله : " خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني . " (بشارة يوحنا ١٠:٢٧) إذن إن الإنسان الذي يسمع صوت المسيح أي يؤمن به ، يصبح من خرافه ومن شعب الله . وهاهو المخلص المسيح صرح أيضا قائلاً : " ولي خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ، ينبغي أن آتي بتلك أيضا فتسمع صوتي . وتكون رعية واحدة وراع واحد . " (بشارة يوحنا ١٠:١٦) إن خراف المسيح ليست من شعب واحد فقط ، كما ظن اليهود . بل هي مجموعة من كل الشعوب ، أي من كل من يؤمن بالمخلص المسيح . هذه هي كنيسة المسيح الحقيقية ، الرعية الواحدة التي يقودها الراعي المسيح.

هل تود مستمعي أن تصبح من خراف المسيح الراعي الصالح ورعيته ؟ إن المجال مازال مفتوحا أمامك . وكما ذكرنا قبل قليل فإن الله يقبلك ، ويجعلك من أولاده إن أتيت إليه تائبا ومؤمنا بالمخلص المسيح .